متى يجوع العالم؟

اذاع القس مالتوس الانكليزي منذ مائة وتسع وعشرين سنة مذهبهُ المشهور وهو ان سكان الارض سيزدادون في المستقبل زيادة كبيرة حتى لا يكفيهم الاكل على الارض فتعمُّ المجاعة الناس وتشتد المسكنة في كل اقطار المسكونة

فلو صحت نظرية العالم المذكور لكنا الآن في عداد الاموات لان انكلترا نفسها حسب زعمهِ كان يجب ان تحلَّ بها المجاعة سنة ١٨٤٥ وتسبقها سائر بلدان الارض او تتبعها

على ان الذاهبين هذا المذهب يقولون «انهُ وان لم تعمّ المجاعة الارض بعدُ فخطرها لا يزال قائماً انما ارجيء زمن وقوعها» ويصرحون ايضاً بانهُ اذا فرض ان الاكل وجد بوفرة فلا بُدَّ ان يأتي زمن يزدحم فيهِ السكان ازدحاماً شديداً حتى لا يجدوا لهم متسعاً على سطح الارض فيدوس بعضهم بعضاً، ويبنون قولهم هذا على ازدياد سكان الارض ازدياداً متواصلاً في الماضي وهم يقدرون عددهم الآن بالف وثمانمائة مليون نسمة فاذا اطردت هذه الزيادة في المستقبل وعشت على ما عشت عليهِ في الماضي فالازدحام واقعٌ لا محالة

واسهل طريقة لفهم هذا المذهب هو النظر في الزمان الذي يلزم فئة من الناس حتى يتضاعف عددها. فمثلاً زاد سكانها منذ ١٧٤٩ الى الوقت الحاضر ثلاثة اضعاف مع نزوح قسم كبير من اهالها عنها وقد تضاعف عدد سكان الولايات المتحدة مراراً ولكن بعض ذلك الازدياد يعزى الى مهاجرة الناس اليها من الخارج. والبلاد الفريدة التي لم يتضاعف عدد سكانها في القرن الاخير هي فرنسا، على انهُ يمكننا ان نقول: ان عدد سكان الارض تضاعف على الاقل مرتين في المائة السنة الاخيرة

ونحن اذا اهملنا مسألة النزوح من بلاد والمهاجرة الى غيرها ناظرين فقط الى زيادة المواليد على الوفيات في امة من الامم رأينا زيادة السكان قليلة، وبكلمة ثانية نقول: ان عدد سكان الارض يتضاعف مرة في المائة سنة على اكبر تعديل

والذي اضعف نظرية مالتوس الآن هو انهُ لما اذاعها كان يُظَنُّ ان بقاعاً واسعة في اوربا واسيا واميركا واوستراليا لا تقل شيئاً فروج المجر وروسيا وسهولها كان

يُظَن في عهد مالثوس انها لا تصلح الاَّ لاقامة المواشي وكما قال الاستاذ بروز في جامعة شيكاغو كان يُظن سنة اذاع مالثوس مذهبهُ ان مروج الولايات المتحدة وكندا وسهولها لا تصلح الاَّ لرعي الماشية اما الآن فقد أصبحت المراكز الرئيسية لانتاج الحنطة . وهكذا قل عن سهول افريقيا وسيبيريا

فهذه الزيادة في الحنطة لم يحلم بها مالثوس في ذلك العهد وهي ولا شكَّ تُبعد الى حدٍّ ما زمن حلول المجاعة العامة . يضاف الى الزيادة في الحنطة الترقي الكبير الذي طرأ على معدات الزراعة ووسائل النقل فهذه الزيادة تمكّن من ارجاء زمن المجاعة الى سنة ١٩٣٥ . واذا اقتصدنا في مقدار ما تناولهُ من الطعام وضربنا على نهمنا وتبذيرنا واتبعنا ما يوصي به الاطباء من ان الناس يتضررون من وفرة الاكل اكثر مما يتضررون من قلته ابعدنا زمن حلول المجاعة الى سنة ١٩٥٥

واذا توقفنا عن اقامة كثير من الحيوانات التي لا تفي منها ارجأنا زمن المجاعة سنة او سنتين اي الى سنة ١٩٥٦

ويقول الثقات : انهُ باستطاعتنا زيادة الانتاج في الاراضي المهملة من ٢٥ بالمائة الى ٥٠ بالمائة فنبعد زمن المجاعة بذلك نحو ثلاثين سنة اي الى سنة ١٩٨٩ . كذلك نستطيع زيادة مساحة الاراضي المزروعة بواسطة اعمال الريّ والفرح نحواً من خمس وعشرين بالمائة فنبعد زمنها الى سنة ٢٠٠٩

ولنحول نظرنا الآن الى فريق النباتيين (الذين يعيشون على انواد النباتية) فهؤلاء يقولون : «ان اكل اللحوم عادة فيها كثير من الاسراف والضرر . ذلك اننا نطعم الحبوب للحيوانات طمعاً بلحمها ولبنها فكأننا نتلف من اربعة اخماس الى تسعة اعشار الحبوب التي تنتجها الاراضي المزروعة . ثم متى اكلنا لحم هذه الحيوانات حصلنا على خمس قيمة الطعام الذي تأكلهُ او عشرهُ لاغير . فاذا اتبع العالم رأي النباتيين خوفاً من حلول المجاعة اي اذا كانت الارض التي تستعمل لرعي المواشي تستعمل لانتاج القمح امكننا إبعاد زمن المجاعة الى سنة ٢٠٥٠

وعلاوة عن استخدام الاراضي المذكورة أعلاه لانتاج الحنطة كسهول الولايات المتحدة وسيبريا فهنالك اراضٍ في الاصقاع الشمالية يمكننا الانتفاع منها — وهي بقاع مكسوة بالحشيش والجراج الغضة وسهول فسيحة الارجاء تشبه سهول الولايات المتحدة

وسيبيريا . فهذه الاراضي لا تصلح لزرع الحنطة ولكن نستطيع الانتفاع بها لتربية المواشي اذا نحن وفقنا الى انتقاء الحيوان الناجن المناسب لها

فهذه جزيرة غرينلندا وهي اكبر جزيرة في الاصقاع الشمالية لا بل من اكبر جزائر الارض يمكن الانتفاع بعشر اراضيها لتربية المواشي على ما تبقى منها مغطى بالثلج على مدار السنة . وقد كان لهذه الجزيرة في الماضي شأن كبير في تربية المواشي فان الجالية الاسوجية التي كانت تقطن فيها بين القرنين العاشر والثالث عشر كانت تصدر الى بلادها والى سائر البلدان الاوربية كل ما يصنع من اللبن كالزبدة والجبن وما اليهما. ولكن هذه الصناعة زالت بزوال هذه الجالية عنها حوالي سنة ١٤٥٠ بعد المسيح لاسباب لا تزال مجهولة . ويقال ان الدانماركيين يفكرون الآن في تربية المواشي في بعض الاماكن الصالحة لذلك بجزيرة اسلندا . وهنالك اراضٍ في غير هذه الجزيرة يمكن استخدامها لتربية المواشي كفرنز جوزف وسبتسبرجن وهيبرغ وألس مير ونورث ديفون وبعض الاماكن في الاسكا وكندا وسيبيريا وخصوصاً الاراضي الواقعة شمالي منطقة الحراج — فمعظم هذه الاراضي صالحة لتربية المواشي لكثرة الكلأ الذي فيها ويصلح للمعيشة فيها حيوان الرنة والثور الاميركي كل السنة ولا خوف عليهما من البرد الشديد

ولقد اهتمت دائرة التربية في الولايات المتحدة بتكثير حيوان الرنة فاحضرت منهُ ١٢٨٠ حيواناً منذ ثلاثين سنة من سيبيريا الى الاسكا فتضاعف عدد هذه الحيوانات كل سنة حتى بلغ ثلاثمائة الف الآن مع انهُ ذُبح منهُ مائة وخمسون الفاً فنشأ من ذلك صناعة كبيرة واخذ لحمهُ يُورَّد الى مطاعم نيويورك وفلادلفيا . وتقول دائرة علم الاحياء : انهُ لا تحيى سنة ١٩٤٠ حتى يكون منهُ في الاسكا من مليون حيوان الى اربعة ملايين حيوان ويكون المصدَّر من لحمهِ كل سنة الى الولايات المتحدة بين خمسين الف طن ومائة الف طن

الخلاصة : لكي ندرأ عنا طول المجاعة العامة يجب ان نزيد مقدار الاطعمة التي تنتجها الارض فنعالج الاراضي الصالحة للمرعى لكي نحصل منها على كل ما يمكن الحصول عليهِ منها بتحويلها الى اراضٍ صالحة لزرع الحبوب والبطاطس والاثمار والراجح ان الاراضي الصالحة لرعي المواشي الآن تتغير في المستقبل (قد يكون ذلك في مدة مائة سنة) الى اراض تنتج الذرة والتفاح وغيرهما . ويرى اصحاب الزراعة ان في شمالي

منطقة الحراج حيث يعيش حيوان الرنة والثور الاميركي أراضي لا تصلح للزراعة ولكنها تصلح للمرعى وتقدر مساحتها بمساحة الولايات المتحدة ضعفاً ونصف ضعف وهي كما يأتي : ٢٠٠ ٠٠٠ ميل مربع في الاسكا و١٥٠٠ ٠٠٠ ميل مربع في كندا و٣ ٠٠٠ ٠٠٠ ميل مربع في شمالي اوربا واسيا وهذه كلها صالحة لتربية الرنة والثور الاميركي ويفضل الثاني لسهولة الاستفادة من صوفه الناعم

فهذه الزيادة تعد من الجماعة الكبرى الى سنة ٢٠٨٠ ولكنها تمدها لا غير اذ لا تجهز على العلة من اصلها . فالموت قادم والمجاعة واقعة الا اذا تقدم العلم وصار في الامكان صنع الاطعمة المغذية في معامل الكيماويين من العناصر البسيطة

ويجب أن لا ننسى ما يمكننا الانتفاع به من عالم البحر فهناك الاسماك على اختلاف انواعها والانكليس والحيتان وعجول البحر وبقره والنباتات البحرية وفي الامكان تربية بعض هذه النباتات على اليابسة بوضعها في احواض ملآنة بالمياه المالحة . فاذا اعتمدنا على هذا المورد الجديد ارجأنا زمن المجاعة مائة سنة اي الى سنة ٢١٨٠

نعود الآن فنسأل انفسنا السؤال الثاني : «هل يأتي يوم تضيق فيه الارض بسكانها حتى لا يجدوا متسعاً لهم على سطحها يقفون فيه مع ما هنالك من الاماكن الواسعة الفارغة من السكان في افريقيا واسيا واميركا الشمالية واميركا الجنوبية واستراليا ؟ »

نعم ان هذا السؤال حريٌّ بالاعتبار لان العوامل والمساعي المبذولة لزيادة عمر الانسان ووقايته من الامراض كثيرة جداً ، فهناك التناقص الكبير في وفيات الاولاد وهنالك الوسائل الطبية الفعالة لايقاف الامراض الوافدة والاوبئة الجارفة عند حدٍّ لا تتعداه يضاف الى هذا مساعي الاطباء للقضاء على كثير من الامراض والاوبئة التي كانت تذهب قبلاً بحياة الالوف من البشر .

فمهما يظهر أن ازدحام الارض بالسكان واقعٌ لا محالة ولا امل بارجائه الاّ بالحروب والاوبئة وبتحديد عدد المواليد ما لم تظهر عوامل جديدة قد تغير وجوه هذه المشكلة تغييراً تامًّا

على كل تعش هذه السنين مستريحي البال تاركين حلها لمن يأتي بعدنا والسلام

عن الانكليزية ، جامعة بيروت الاميركانية نجيبٌ نصّار